## الفصل التاسع
## طعن الخوارج في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلى رضي الله عنهما

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر إمامة شرعية، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها، وأن إمامتهما كانت برضا المؤمنين ورغبتهم، وأنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به، لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة، وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب، وكانوا موفقين فيه، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما، حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلىّ رضي الله عنهما، فلقد حملهم على إنكار إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها، كما أنكروا إمامة على أيضاً بعد التحكيم بل أدى بهم سوء معتقدهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وأصحاب الجمل وصفين.

وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعناً عاماً يشملهم جميعاً ووجهوا إلى بعضهم طعناً على وجه الخصوص، فطعنهم فيهم على وجه عام أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا، وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيئ عنهم في كتبهم [1]، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري [2].

**وقال ابن تيمية – رحمه الله:**

وكان شيطان الخوارج مقموعاً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1157/3).
(2) مقالات الإسلاميين (204/1).

أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة عليّ رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا عليّا ومعاوية ومن والاهما، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب [1].

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبرى من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة. وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين [2]. وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار [3]، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق جانباً، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا، فكانوا له تبعاً، فاعتقادهم كفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ باطل، لأمور عدة:

**الأمر الأول: أن الله تعالى أخبر بأنهم{خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}:**

وكذا رسوله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمة، فقد قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾} [آل عمران: 110].

فقد نوه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم{خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين، ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110]، قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة [4]، وقال ﷺ: **«خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم**

---

(1) مجموع الفتاوى (89/19).
(2) الملل والنحل (117/1).
(3) المصدر نفسه (121/1).
(4) المستدرك (294/2) وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.

**الثاني، ثم الثالث»** [1]، وإنما كان قرنه خير الناس لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا [2]. وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع هم هؤلاء، فهم من أهل الهجرة ومن الذين آمنوا بالنبي ﷺ حين كفر به الناس، وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عموماً بأنهم خير أمة محمد ﷺ [3]، وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج كعلي والزبير وطلحة وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة وقد بشرهم رسول الله بذلك.

**الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت، في مواضع كثيرة من كتابه العزيز:**

قال تعالى:{إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [آل عمران: 68] فكلمة{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} في هذه الآية أول ما ينطبق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، إذ إنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع، ولكن الخوارج أزاغ الله قلوبهم فلم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم [4].

**الأمر الثالث: أن الله تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه:**

وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال تعالى:{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾} [التوبة: 100].

ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم فهو ضال مخالف لله جل

---

(1) مسلم (1965/4).
(2) فيض القدير للمناوي (478/3).
(3) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (1160/3).
(4) المصدر نفسه (1161/3).

وعلا، حيث كفر من رضي الله عنه، ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة لـه جل وعلا، وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة [1].

وقال تعالى:{۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾} [الفتح: 18]، وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله ﷺ، والذين كان منهم على وطلحة والزبير، وعثمان كان في مكة رسولاً لرسول الله ﷺ فبايع لـه النبي ﷺ، وجعل يده عن يده، فكانت خيراً لـه من يده [2].

**الأمر الرابع: أن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا أنـــه بغَّـــض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين:**

قال تعالى:{وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾} [الحجرات: 7].

وأما الآية فقد أخبر تعالى فيها أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين، كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة، وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله؟ بل كيف يكفرون وقد كّره الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلى وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام [3].

* * *

(1) عقيدة أهل السنة في الصحابة (1163/3).
(2) عقيدة أهل السنة في الصحابة (1163/3).
(3) المصدر نفسه (1165/3).